

ناصر قنديل

نستهلّ حديث الجمعة هذا الأسبوع بالمختصر المفيد، مقال ينشر بالتزامن مع الزميلتين «الشرق» التونسية و«الثورة» السورية. وفيه تشريح للدور التركي الأردوغاني الموابك للتطوّرات الحاصلة في الشرق الأوسط منذ سنين، وأين أقلحت تركيا وأين منيت بالفشل الذريع. ويتابع حديث الجمعة نشر المشاركات من الأصدقاء والصدىقات، شعرا ونثراً ومذكرات.

● عرف العالم منذ عام 2000، تبلّورا لمشاريع صاعدة متقابلة ومتجاورة ومتنافسة ومقاتلة أحيانا، لكن أبرزها كان مرتبطا بالشرق الأوسط الذي قرّرت الدولة الاظم في العالم التي تشكلها اميركا أنه مسرح العلميات، عندما قال تقرير الطاقة الذي أقره الكونغرس الأميركي في العام ذاته أن حروب الطاقة هي التي ستقرّر مستقبل الاقتصاد والسياسة والاستراتيجية في العالم، وأن ما سمي بالشرق الأوسط الكبير الممتد من أفغانستان إلى نيجيريا وفي قلبه العالمين العربي والإسلامي هو مسرح العمليات.

كانت القوى الصاعدة تتمثّل بداية بأميركا القوّة الاظم القابضة حديثاً على أوروبا الشرقية بعد حرب يوغوسلافيا وأثار سقوط جدار برلين، وانهيار الاتحاد السوفياتي. وكانت إلى جانبها روسيا الاسبق دوميثانك ويوفيليان. وكانت تركيا الصاعدة مع وصول حزب التنمى والعدالة» إلى الحكم وعلى رأسه قائد سياسي جماهيري يحمل باستعادة أمجاد السلطنة العثمانيّة هو رجب طيب أردوغان.

وكانت إيران التي بدأت تنفض غبار الحرب التي عاشتها مع العراق وأخذت جراحاتها وهي تستمدد لخوض غبار التقنيّة النووية من بابها الواسع وتتصرف كقوّة إقليمية قائدة وفقاً لمتبنيها مشروع المقاومة . في وجه «إسرائيل». وكان العرب يعيشون أسوأ أيامهم بقيادة مصرية . خليجية مع فشل رهانهم على حل القضية الفلسطينية من بوابة التفافض. فيما سورية تصرخ وحيدة في البرية العربية بأن خيار المقاومة هو الطريق وأن ما هوأت من بوابة الحرب على العراق حروب التقنيت والتجزيّة، بينما كانت «إسرائيل» تعيش خيبة فشلها في لبنان واضطرابها للانسحاب منه تحت ضغط المقاومة وانتصارها المدوي في العام 2000.

● قرّرت واشنطن مع وصول المحافظين الجدد إلى البيت الأبيض أن تخضع العالم لسيطرتها من بوابة حربها على العراق وأفغانستان، واستعادت بدول الخليج. ولما تعرّثت أدخلت «إسرائيل» في حرب الدعم لكسر المقاومة في لبنان و فلسطين في حروب متتالية حصدت الفشل مجدداً. وبدأ أن «إسرائيل» المتعزّرة، مع واشنطن البايحة عن حلون من المأزق، وسط محيط من تابلام الأمواج، حيث العرب يمكن ان يشكّلوا صندوق قوت لا قوة دفع لنهضة حيوية سياسية تجدد شباب المشاريع، وحيث أوروبا المتعزدة سقطت تحت العبادة الأميركية بنتيجة الحراك الأميركي النشط لتغيير قياداتها السياسية وتهديدها بلعبة المصالح، وأن الصين لا تزال تتهيّب دخول ميدان المعارك السياسية إلا عندما تكون روسيا في المقدمة، وصارت الخيارات البايحة عن فائض قوة من خارج ما استخدم في الحروب المتعزّرة تنحصر بين تركيا وروسيا وإيران، بعدما شارك عرب الخليج والأوروبيون و«إسرائيل» مع أميركا حروب السنوات الفاصلة بين عامي 2000 و2010 التي بقيت تركيا وإيران وروسيا خارجها سواء حرب أفغانستان أو حرب العراق أو حربى لبنان وفلسطين الإسرائيليتين، عامي 2006 و2008 تباعا.

● كان الطبيعي أن تتوجه العين صوب تركيا فهي عضو في الحلف الأطلسي وهي قوة صاعدة في المنطقة وتمك رصيدها معنويًا لدى شعوبها نابع من مناعتها للحروب الأميركية و«الإسرائيلية»، ولديها امتداد فاعل في تنظيم واسع الانتشار هو الأخوان المسلمين، ومعها حليف عربي-دولة قطري التي تتولى تمويل الدور وتقديم الإعلامية العربية الأولى في التأثير على الشارع لتخديم المهمة، ويمكن لهذا المشروع أن يحاكي الأحلام العثمانية للزعيم التركي رجب أردوغان، أمام وضع عربي راكد عاجز عن تجديد نفسه وطبقة سياسية مفلسة تحكم شعوبه التي يمكن أن ينفجر غضبها في أي لحظة.

● عندما انفجر الشارع العربي في شرارة الأولى التي انطلقت من تونس عام 2011، كان كل شيء جاهزاً لمنع إشارة الانطلاق لانضمام تركيا إلى الحلف الذي تقوده واشنطن والذي يفترض أن يرسم معالم

ليست سوى أصداء!

أصداء تلتقي فتشكّل حالات نجهل كنهها، لكنها مجرد حالات نلمسها في الحياة تشبه الضحك حدّ البكاء. كالطير أحياناً يضحك من ألم الذبح. قد نضحك استهزاء ونبكي شوقاً، وأحياناً نغفرق على أمل اللقاء ولا ندري إن كان ما نحن فيه خيار أو إملاء. في داخلنا صراع قائم بين الأصداء، يتجلى بحولات ترجح فيها النكفة في كل مرّة لأحد الأصداء بحسب ما تكون عليه من أحوال... أما ما يحصل في صراع الأصداء بين الأضواء والسواد (الخير والشرّ)، وعلى أعلى المستويات بهدف هدم الأوطان، فلا مجال للخيار، وإن كان لباطل جولة، فللحق جولات سيستقيم بها الحال.

فالوطن لا يحمّلت وجود أصداء تعبّت بالفكر والأمن وحرّية المعتقدات لتعيّندا إلى زمن الجاهلية.

تبا لها ما هي الاضداد!

رشا مارديني

هل من جواب؟

واهمّ أنت أيها المخلوق الضعيف! وهل أنت إلا ظلّ وسراب؟!
خيوط حلم بلا لون تغريك، زهرة لا تحاف الأشواك تنجاك!
«ما الذي يرضيك؟»، أنت تتبعد، تحلق، تجاور النجوم، تدور وتدور، حيث لا تخوم...
تبحث عن الفرح، عن الأمان، عن ذاتك، عن الإنسان!
أين؟ في عيون أرهقتها الصوّر؟ أو في دموع أحرقها الضحى؟
أو في قلوب أهملتها الأيام، وسيجتها الأيام؟
أين؟ أين تبحث؟
الكلمات أشباح! الليل وطن! والخوف انتماء!
أصبحي العدم يضحى أملا، إذا بات الحلم جرحاً؟
هل الأرض حقا صارت سجنًا، والشمس سيّفاً؟
ما بالها غافلة السماء؟ غيومها ما تزال سوداء...
في البساتين غرسة، وفي حديقتي سنبله خضراء!
انتظر بسمتك، هل من جواب؟
أم يوافيني سراب؟

سحر عبد الخالق

البناء



حديث الجمعة

منبت الشيطنة

يُحكى أن رئيس الشياطين كان يقوم بتقييع الشياطين المدريّين ومدى اكتسابهم الخبرة في نشر الشرور في نفوس البشر. وفي الامتحان النهائي دخل الشيطان الأول غرفة الامتحان، فسأله الشيطان الأكبر: «قل لي كيف ستجرب البشر وتجعلهم يهلكون؟». فأجاب: «ساقول لهم أن الله غير موجود وأنه اخترع رجال الدين». فقال له الأكبر: «أنت راسب في الامتحان، هذه خدعة مكشوفة».

ثمّ دخل الشيطان الثاني، فسُئل السؤال نفسه، فأجاب: «ساقول للناس إن الله موجود، لكن الوصايا ليست من الله، بل هي اختراع البشر، لذا عيشوا كما تريدون واسرقوا وانهبوا وازنوا واقتلوا». فقال له الشيطان الرئيس: «أنت راسب أيضا فهذه خدعة فاشلة».

ثمّ دخل الشيطان الثالث وكان أخبثهم، فطرح الشيطان الأكبر عليه السؤال نفسه، فأجاب: «لقد تدرّبت في السعودية على يد شيوخها، وأخذت بعض التعليمات من حاخامات إسرائيل، وسأدعو الناس إلى الجهاد في سبيل الله وأغريهم بالحواريات والمال».

فنظر رئيس الشياطين ملياً وداعت عيناها فخرأ وقال له: «ستكون شيطاناً تجلب لي الفخر. فقد تدرّبت عند الأفضل بكل تأكيد. اذهب إلى الناس واجعلهم يجاهدون!».

لا يمكن لأيّ شيطان أن يلقي تدريبا أفضل أو خبرة في فنون الشرّ والاحطاط والسفالة أكثر من أبالسة آل سعود. فكل من تتلمذ على أيديهم تخرّج محترفا فنون القتل والذبح والغتصاب من دون أيّ ندم وبكل وحشية. ولهذا، هم المفضلون عند أميركا و«إسرائيل». ففي «المهلكة الوهابية» يتجمّع أكبر قطع من القنّلة الميرمجين على كلمة «الجهاد» في العالم كله. تخفي كلمة من قائد القليع وجرس تنبيه ليصبحوا جميعا قتابل موقوثة جاهزة للانفجار. وفي جردة بسيطة للاويّنة التي انتشرت على مدى التاريخ من طاعون وكوليرا وجنون بقر ودجاج وحتى الكوارث الطبيعية كفيضانات وزلازل، فلن نجد أخطر من وباء آل سعود، ولا أكثر فتكا منه. فبدور التخلف التي ينشرونها في مجتمعات كثيرة هي الكارثة الأكبر التي قد تعرقها البشرية، والتهديد الأكبر للوجود الإنساني كلّه.

حرب الأسلحة والبرصاص أسهل بعلون مرّة من الحرب على الأفكار المدمرة. فحين تطلق رصاصه على قاتل يموت شرّه معه. لكن المعركة الأضعب تكمن في التخلص ممّا نشروه من سموم في العقول، ومما زرعو من عقد يحتاج إلى علاج طويل الأمد وعمليات نوعية لاستئصاله من دون ترك أي أثر يسمح له بالتكاثر مرة أخرى.

هي حربنا اليوم في سورية مع رسل التخلف والظلام والوحشية. حرب تحدّد مسار مستقبلنا ومستقبل أطفالنا، فإما نتنصر فيها ونستمر في الحياة كيشر، أو يكون مصيرنا عبديا في قافلة طويلة. هي حربنا لكي نحافظ على إنسانيّتنا ووجودنا. هي حرب سورية الحضارة والكبرياء مع طفيليات التاريخ. هي حرب المنسور مع الزواحف، والشمم الشائخة مع ساكني الجحور. وهي حرب الإيمان والحبّة ضدّ الأبالسة المصابين بجنون الدم والقتل، وستنتصر إرادة الحياة فينا.

صباح أرض تقدّست بدماء أبائنا... صباح وطن زرع رجالاً فصار أسطورة... صباح الجيش السوري الباسل.

وفاء حسن



غربة

في مساء هادئ خال من أي ضوضاء، ومع خيوط الليل الأولى وهي تعانق بقايا نزع الضوء الأخيرة، تتداخل في السماء ألوان شفق أحمر مغلّنة ساعة الغروب، كان حديني مع صديق طفولة في قرية وادعة صاخبة، تقع على سفوح جبال تبدو كجزء من السماء، تتخللها وديان وجداول وأسار كثيرة. ويعتقد معظم سكان قريتنا أنّها مركز الكون، وأنّ الكون ينهبني على حدود قريتهم.

إنّه التمرّك نحو الذات وسيطرة الهأنا» من دون عناء. تجمع سكّان القرية بشكل بارع قصص قصيرة وأحداث يعيدون صوغها وتاويلها وسردها، يتداولونها نقلا يخضع للإضافة والبحرجة، وتحصد تلك القصص والأحداث في طريقها الحقيقية وتتلحن الحدث وتحلله وتعيد صوغه بسرعة البرق.

أبواب المنازل مشرّعة لا تغلق. ربّما سبب ذلك قلة النوافذ في تلك البيوت البسيطة ذات البناء المميّز. وإن وجدت نوافذ، عادة ما تكون صغيرة جدًا ومرتفعة. وكان يسميها أهالي القرية «طاقة». لهذا، تبدو البيوت مشرّعة لاستقبال أيّ طارق. حارات القرية تتداخل وإن بدت وحدات شبيه منفصلة. تتوزّع في تلك الحارات عائلات، وتحمل كل حارة اسم عائلة.

خريطة البلدة سهلة التداول، يكفي أن يقف الزائر في محطة باصات البلدة «الكاراج»، ويسال عن أيّ بيت يريد، ليتلقفه المارة، ويتبرّع أحدهم بتوصيله. وفي الأثناء يكون قد عرف كل شيء عنه وعن أسباب الزيارة ومرامي الزائر.

يستطيع المرء أن يتجوّل في حارات القرية وأزقتها خلال ساعتين على الأكثر. حين عدت إلى قريتي بعد عمر طويل، أصابتي الدهشة. شعرت بالغربة. البلدة التي أعرفها لم تعد هي ذاتها. لم أعرف حتى حارتي. معالم جديدة استوطنت معالمها القديمة. شاخت قريتي التي أعرفها وخط الشيب وقارها، وبدت مدينة جديدة عصرية لا صلة لها بطوفاتي ولا بذكريات المكان.

تحذّثت مع صديقي في الأب والفلسفة والسياسة. مدارسها ونظريّاتها وما يجري في العالم العربي. كان حديثا علميا وفلسفيا بحثا وراقيا. وفي لحظة، تسللت قريتنا وذكرياتنا من دون استنّذان إلى حوارنا.

كانت نقلة ممتعة ذات مذاق ورويق خاصين. أزقة القرية أهاليها عجائبها وغرائبها، قصصها وأحداثها. ذكريات أشبه بعمل فني سرياليّ تتناغم فيه الألوان وتتناسق. على رغم بُعد المكان والزّمان، بدت قريتنا بكها وكليها حاضرة، وساحة للعرض والتحليل. نوادر وشخصيات وأسماء غلب عليها طابع الأصالة والمتعة. كنت أحبّ الورود جدًا، ولشجّ المياها كنت أحبّ إلى الألوان. وأمامي تريض بيوت الطين تتخلّلها بيوت من حجر. كان مجيء الربيع عودة للروح والألوان وجمال قريتنا. كان منظر المروج والأشجار وهي تزهر، وتكسو الأرض أزهار شقائق النعمان، والورد الاصفر البرّي يتماوج على سفوح التلال، منظرًا أخاذًا. كنا ننطلق لجمع ما تيسر من زهور وإعشاب. كانت الطبيعة ممتعة وأخاذة.

كثيرا ما ذهبت إلى باحة مدرستها الثانوية، حيث حديثها ووردها الجوري، وأتسلل من بين الأسلاك الشائكة بجسدي النحيل لأقطف ورده بهيّة رائحتها عطرة. ولم تكن تسلّم الجزّة كل مرّة!

ذات يوم، صادف تسليّ حضور ناطور المدرسة. أطلقت ساقّي للريح هاربة. كنت أطيّر من الخوف كفاشة تخشى حثفها. وصلت إلى منزلنا لامئة خائفة. جلست في زاوية بعيدة عن تفخّص والدتي، وفتحت بدّي. كانت الورود قد ماتت وذبلت من شدّة قبضتي. نظرت إليها ميتسة وحزينة، تناولت كتابا ووضعتها بين صفحاتها. كفتا وتابوتا لها! عادة، كنت أزور التابوت والقي نظرة تفحصّ لحال الورود تلك. فنفوح منها ذكرى الحدث!

ماجدة أبو شرار

مختصر مفيد*

أردوغان ولعبة الروليت الروسية

الأمن الإقليمي للشرق الأوسط خلال السنوات الممتدة حتى نهاية عام 2014 موعد نهاية الوجود العسكري الأميركي في أفغانستان، ليكون العام 2015 عام ترسيم الحلول والخراطم والتوازنات، وتصرّفت واشنطن بما يساعد تركيا على إيصال حلفائها من تنظيم الأخوان ومفرداته للحكم، حيث كان حلفاء واشنطن السابقون يتعرضون لخطر السقوط، فسبّلت رحيلهم بدلا من حمايتهم تلاؤما مع الرهان التركي، وامتصاصا لشحنة غضب تنفجر، وانتظارا للمسار بدا ويجب أن ينتهي بالهزيمة على الشرق الأوسط تحت العبادة التركية، حيث

الإمتحان الأهم يتمثّل بسورية قلب اللعبة الاستراتيجة، لأن منها وفيها يتحدّد مصير أمن «إسرائيل»، ومستقبل المقاومة من جهة ومكانة روسيا وإيران والصين وصلّة هذه بالبحر المتوسط بعد الانسحاب الأميركي من العراق وأفغانستان من جهة أخرى، ومصير خطوط الطاقة من جهة ثالثة لا تقل أهمية.

● يمثل ما كان أكيدا أن الحرب على سورية وفيها ما كانت لتتخذ الأشكال والتعقيدات التي اتخذتها لولا الشراكة الحاسمة لتركيا في قيادتها، سيكون للحرب على سورية وفيها الدور الحاسم في تحديد مستقبل الدور التركي والزّمامة التركية في المنطقة وضمان مستقبل الحزب الحاكم في تركيا وزعيمه، ودار الزّمان دورة كاملة وخيضت الحرب على سورية وفيها، ولم يتبق ما يمكن الرهان عليه من دون أن يجري اختياره وصولا للعب تركيا بحماية أميركية غربية وتمويل خليجي ورقة استجواب لتنظيم القاعدة، بكل منوّعاته لإسقاط سورية. وصمدت سورية جيشا ورئيسا ونظام حكم وهي تحوز تأييد غالبية شعبية وازنة لخيارات رئيسها الذي هدفت الحرب لإسقاطه، وحلت نهاية عام 2014 وانتصف عام السياسة المفترض العام 2015، وبدأت السياسة تعلن مفاعيلها عبر ولادة التفاهم على الملف النووي الإيراني، وبدأت تظهر علامات الوهن والضعف على الموقع والموقف في تركيا، وعبرت نتائج الانتخابات البرلمانية في مطلع صيف 2015 عن فشل حازم الرئيس أردوغان في مواصلة قيادة الدفة التركية، بتأثير عدة عناصر أبرزها كان الفشل بين سورية وسقوط استراتيجية عداوات صفر مع الجيران التي أعلنها مهندس السياسة الخارجية التركية رئيس الحكومة داود أوغلو ليحل مكانها صداقات صفر مع الجوار من سورية للعراق وإيران وروسيا واليونان وأرمينيا.

● تذهب تركيا للانتخابات المبكرة ولا أمل بتحسن الوضع الانتخابي لحزبها الحاكم ورئيسه، إلا إذا حدثت معجزة. وبدلا من أن تتم المعجزة بذهاب أردوغان وحزبه إلى المراجعة النقدية لأخطاء التجربة فيقارن وضعه بوضع كل من إيران وقاموس ويتساءل عن سرّ نجاحهما وسرّ فشله، وكيف تمكنت دولة مثل إيران كانت في نظر الغرب الدولة الأولى المصنفة بين المارقين وراعة الإرهاب من انتزاع مكانة الشريك الأول في الخريطة الإقليمية بقوة الدفاع عن خيارها الاستقلالي من جهة، وهو ما فعلته تركيا في السنوات

العشر الأولى من عهد أردوغان فحازت الاحترام والتقدير ودخلت القلوب قبل العقول، وتناسى الناس الاحتلال والاستبداد العثمانيين، وكيف تمكّن من جهة مقابلة الزعيم الروسي فلاديمير بوتين بفضل استتماره قيم القانون الدولي واحترام سيادة الدول في سياسته الخارجية والتصدّي لسياسة الهيمنة التي تنتهجها واشنطن من التقدم لكركسي الزعامة الأولى في العالم، بينما ارتضى أردوغان أن يكون خادما لمشاريع الهيمنة. فكيف تمكّن بوتين الذي يتقاسم الكثير مع أردوغان من الكاريزمية إلى وراثة امبراطورية عظمى والرهان على النمو الاقتصادي والتواصل بقدر عال مع المؤسسة الدينية، أن يصنع زعامة لا تهتز. بينما أضاع أردوغان الزعامة التي صنعها بضروب الأوهام والتخلي عن مفهوم الجيرة وعدم احترام معايير السيادة فسقط سقوطا مدويا. وكان يكفي أردوغان أن يعود إلى سيرة تجرّبت مع الرئيس السوري بشار الأسد الذي كان متنبها لما يعيشه الأميركيون وحلفاؤهم في المنطقة من مأزق وما يمكن أن يقدموا عليه من تغيير لقواعد اللعبة وخطط للأوراق، فتقدم بمشروع البحار الخمسة الذي يضمّ الدول المتشاطئة على بحر قزوين والخليج والبحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود لتشكيل نظام إقليمي يعتمد على الكيانات والدول الوطنية، وحيث لتركيا وإيران

ناصر قنديل

*ينشر هذا المقال بالتزامن مع الزميلتين «الشرق» التونسية و«الثورة» السورية.

التراب الكحل

كحل العيون ترابك يا وطن
منفل ما منترك رغم الحزن
وكل ما الطمع بيّزيد بنفوس العدا
نحننا سياج الأزّن عا طول الزّمّن
كحل العيون ترابك يا وطن
والحمّة للعمرسان يا منبت الشجّعان
يا جمرة البردان
لبنان يا لبنان
يا جيبا ما بترتك
يا نسور تعلقا عالغلا
وترفع رايات الغار
يا زنود يساح الوغي
تدفع وتكسر الأسوار
يا صدور تعمر بالوفا
إيمانها مدفع
جبهة عخط النار
يا مصنع الأحرار
كحل العيون ترابك يا وطن
إنت رماد جدودنا
إنت عماد وجودنا
إنت ورث مولودنا
ويتصل يا لبنان
شوكة بعين الخصم مزروعة
ورايات عزك دوم مرفوعة
وعا كتفك التاريخ بينام وبيوعا

خليل جابر

د. حسان عبد الله